سياقات خُطب عرَفة في ضوء نظرية ديكرو وأنسكومبر، دراسة تداولية

Contexts of Arafat sermons in the Light of Ducrot and Anscombere Theory. Pragmatic study

10.35781/1637-000-0104-006

د. محمد عبد الله القحطاني*

*الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة الملك خالد في أبها المملكة العربية السعودية.

الملخص

يهدف البحث إلى إبراز سياقات خطب عرفة في ضوء نظرية ديكرو وأنسكومبر، وأيضاً مدى تناول تلك الخطب للسلّم الحِجاجي، وقد جاء البحث في مقدمة شملت تعريفاً بالموضوع وأهميته وتساؤلاته، وتمهيداً عرّف بنظرية ديكرو وأنسكومبر، ثم جاء المبحث الأول المستويات اللغوية الحِجاجية في سياقات خطب عرفة، ثم المبحث الثاني سياقات خطب عرفة من خلال المستويات المنطقية للحِجاج، والمبحث الثالث كان عن السلم الحِجاجي لخطب عرفة، ثم الخاتمة التي شملت على النتائج والتوصيات، تلتها قائمة المصادر والمراجع. وقد اعتمد البحث المنهجَ التداولي لتحليل خطب عرفة، وتوصّل إلى نتائجها أهمها: أنّ الحِجاج من النظريات التداولية التي تدخل في عدة علوم كأصول الفقه والمنطق والبلاغة واللغة وغيرها، وأنّ نظرية الحِجاج عند ديكرو وأنسكومبر تقوم على أن اللغة حِجاجية في المقام الأول وإخبارية في المقام الثاني، حيث إنّ قصد المتكلم الإخبار، وأنّ الحِجاج يحصل عبر المتتاليات اللغوية المترابطة التي تخلق الكتل الدلالية التي من شأنها أن تنتج الحِجاج، أيضاً أظهر البحث أنّ خطب عرفة جاءت محمّلة بالحِجاج والنتائج القائمة على الأسباب والتساؤلات، وأظهر أيضاً استخدام خطباء يوم عرفة للسلّم الحِجاجي، واهتمامهم به لتأدية الوظيفة الإقناعية.

والباحث يحث الزملاء الباحثين على إقامة دراسات مناظرة على مدّونات كبرى كخطب الأعياد والجمعة.

الكلمات المفتاحية: الحِجاج- نظرية ديكرو وأنسكومبر- خطب عرفة.

ISSN : 2410-1818

Abstract

this research analytical study aims to explore the linguistic levels in Arafah sermons, In light of Ducrot and Anscombre's theory, and examines how these sermons address the argumentative ladder. The study began with an overview that defined the topic, its significance, and its inquiries, followed by an explanation of Ducrot and Anscombre's theory.

The first research was about the linguistic levels of argumentation in the contexts of Arafah sermons, then the second research was about the contexts of Arafah sermons through the logical levels of pilgrims, and the third research was about the argumentative scale of Arafah sermons, then the conclusion, which included results and recommendations, then a list of sources and references. The research has adopted the deliberative approach to analyze the speeches of Arafah.

The research uncovered the key findings: argumentation is a foundational theory used in variousdisciplines like jurisprudence, logic, rhetoric, language, etc. Ducrot and Anscombre's argumentation theory emphasizes that language is primarily used for argumentation and secondarily for conveying information, with speakers intending to inform. And that argumentation occurs through interconnected linguistic sequences that create semantic blocks that are capable of producing argumentation.. The study revealed that Arafah's sermons were full of reasoning, questions, and outcomes,

He also showed the use of the argumentative ladder by the preachers on the Day of Arafah, and their interest in it to perform the persuasive function. The researcher urges researchers to conduct corresponding studies on major blogs such as holiday and Friday sermons.

Keywords: Argumentation (Al-Hijjaj), Ducrot and Anscombre's theory, Arafat sermons.

ISSN : 2410-1818

المقدمة:

يعدّ الحِجاج أحد أنواع المجادلة الكلامية وأحد أهم عناصر الخطابة على مرّ التاريخ، فهو أصل أصول الإقناع وأهم طرقه، وحيث إنّ فن الخطابة يعتمد على أسلوب الحِجاج في إقناع المستمعين، فنجد الخطيب يعتمد عليه فيورد الأمثلة ويأتي بالجمل لأنه ذو فعالية تداولية جدلية عقلية وغير عقلية مؤثرةٍ في الفكر والمقام[1].

ولذا فإنّ البحث يسعي لبيان أهمية هذا الحِجاج وأسلوبه وأنواعه في خطب عرفة للأعوام: 1426هـ و1438هـ و1439هـ و1440هـ و1442 هـ من خلال نظرية "ديكرو وأنسكومبر"، ويعود اختياري لذلك النموذج من الخطب لاختلاف الخطباء وتنوّع أساليبهم.

تكمن أهمية البحث فيما يلي:

1- بيانه طرق الحِجاج الكلامي في خطب عرفة.

2- بيانه أن وسيلة الإقناع بالحِجاج وسيلة جمالية في اللغة والبلاغة.

وقد وقع الاختيار على هذا الموضوع لأسباب، منها:

1- أن أغلب الناس يسمع خطب عرفة فيتأثر بها، مما يحفّزنا على دراسة أساليبها.
2- تعدّد الأساليب وتنوّعها في خطب عرفة.
3- أهمية توظيف نظرية ديكرو وأنسكومبر في تلك الخطب.

ولم أجد دراسات سابقة لموضوع بحثي، ولكني وجدت دراسات مماثلة في المنهج، ومنها:

1- الإقناعية وآليات الحِجاج في خطب علي بن أبي طالب: مقاربة تداوليّة، ماضوي فضيلة، رسالة ماجستير، جامعة محمد لمين دباغين، الجزائر، 2015م. تناولت الباحثة بحثها في مدخلٍ وثلاثة فصول، تحدّثت في المدخل عن مسار اللسانيات البنيويّة بمدارسها المتشعبة، وفي الفصل الأول تكلّمت عن مفهوم التّداولية ونشأته وتأسيسه ومبادئه، وفي الفصل الثاني تحدّثت عن الحِجاج والإقناع عند غير العرب، وجاء الفصل الثّالث: للحديث عن الحِجاج والإقناع عند العرب، أما الفصل الرّابع: فقد كان دراسة لبعض الخطب الواردة في كتاب "نهج البلاغة"، ثم خاتمة فيها مجموعة من النتائج. وتتقاطع مع بحثي في بعض الآليات المستعملة، وتختلف المدوّنة وفي أنّ الباحثة تناولت الأفعال الكلامية من منظور التّراث، ودراستي تناولت خطب عرفة من منظور ديكرو وأنسكومبر.
2- آليات الحِجاج في خطب الحَجَّاج: دراسة تداوليّة، محمد شكيمة، رسالة ماجستير، جامعة الشّهيد حمه لخضر الوادي، الجزائر، 2016م. جاء البحث مشتملًا على تمهيد وفصلين، أحدهما نظري

[1] ينظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، البيضاء، المغرب، ط: 3، 2007م، ص: 65.

ISSN : 2410-1818

والآخر عملي، في التّمهيد: تناول الباحث بعض القضايا المندرجة تحت باب التّداوليّة، أما الفصل الأول، فقد تطرق الباحث إلى الحِجاج وآلياته اللغويّة، ويتضمن: مفهوم الحِجاج والحِجاج في الجذور الغربية والعربية، الآليات اللغويّة التضمينية والآليات اللغويّة التّوجيهية والآليات اللغويّة التّلميحية وتقنيات الحِجاج اللغويّة، أما الفصل الثّاني: فقد كان للجانب العملي فتناول فيه الباحث الآليات اللغويّة في خطب الحَجّاج، ثم خاتمة وفيها أهم نتائج البحث، وتتقاطع مع دراستي في طريقة معالجته للمدونة، فجاء بمفاهيم المقاربة الحِجاجيّة اللغويّة التي ترتكز على العوامل الحِجاجيّة والروابط الحِجاجيّة، والسلّم الحِجاجي، بالإضافة إلى تحليله للأفعال الكلاميّة حسب منظور "سيرل"، وتختلف عن دراستي في أن الباحث لم يتطرق إلى تحليل السياقات الحِجاجيّة الموجودة في الخطب، بالإضافة إلى اتجاه الباحث إلى بعض الآليات الحِجاجيّة عند بيرلمان.

3- سياقات الحِجاج وآلياته في خطب عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، رسالة ماجستير في اللغويات بقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الملك خالد، للطالبة دلال محمد جبلي الشديدي، 1445/2024م، وجاء بحثها في فصلين يسبقهما مقدمة وتمهيد وتليهما خاتمة، في التّمهيد تطرقت إلى مفهوم الخطابة وأنواعها وقيمتها في التّواصل الجماهيري، ثم مفهوم الحجاج وقيمته التّداوليّة، ثم سيرة عبد العزيز آل الشيخ، أما الفصل الأول فكان في سياقات الحجج في خطب آل الشيخ ومقاصدها، والفصل الثّاني، في آليات الحِجاج في خطب آل الشيخ، ثم ختمت دراستها بخاتمة وتوصيات علمية، ويتمايز بحثي عن رسالتها باختلاف المدوّنة، وأيضًا بحثي حسب نظرية ديكرو وأنسكومبر والباحثة حسب نظرية سيرل.

يقوم البحث على المنهج التداولي لخطب عرفة في الأعوام: 1426هـ و1438هـ و1439هـ و1440هـ و1442هـ.

تساؤلات البحث:

سيجيب البحث عن التساؤلات التالية:

- ما المستويات اللغوية الحِجاجية في سياقات خطب عرفة؟
- ما سياقات خطب عرفة من خلال المستويات المنطقية للحِجاج؟
- ما السُّلم الحِجاجي لخطب عرفة؟

ISSN : 2410-1818

خطة البحث:

المقدمة.

التمهيد: التعريف بنظرية ديكرو وأنسكومبر.

المبحث الأول: المستويات اللغوية الحِجاجية في سياقات خطب عرفة من خلال نظرية ديكرو وأنسكومبر.

المبحث الثاني: سياقات خطب عرفة من خلال المستويات المنطقية للحِجاج.

المبحث الثالث: السلم الحِجاجي لخطب عرفة.

الخاتمة: وتشتمل على النتائج والتوصيات، ثم قائمة المصادر والمراجع.

ISSN : 2410-1818

التمهيد: التعريف بنظرية ديكرو وأنسكومبر

لقد تشكّلت النظرية الحِجاجية من وجهة نظر ديكرو وأنسكومبر بواقع تسلسل السؤال: هل اللغة إخبارية بواقعها أم هي حِجاجية بأصلها؟[1] فقامت النظرية عندهما الإجابة على هذا السؤال وِفقًا لما أرسياه من قواعد، فقد جعلا للألفاظ في الجمل مهمةً أُولى وهي الحِجاج، ثم مهمةً ثانية وهي الإخبار، فجعلا الحِجاج في المقام الأول، والوجهة الاولى لكلام الخطيب من وجهة نظرهما هي الحِجاج، أو هو يقصد الإخبار من أجل الحِجاج، فـ "ما تدْرسه نظرية الحِجاج هو اشتغال الأقوال داخل خطاب ما، أي فهو تسلسل الأقوال وتواليها داخل الخطاب"[(2)].

فالوصف اللساني المشكِّل للكلام أو الخطاب تقتضي تلك المسارات الحِجاجية من وجهة نظر ديكرو وأنسكومبر، فكانت السلسلة الخطابية تجسّد عملية حِجاجية تتمثّل في مقدمة ثم نتيجة، وكما نصّا على أن الحجة لا بدّ لها من مقدمة ثم تالية، ومن ثَم فالكلمات والجمل تدلّ على مقصود الحِجاج[(3)] ، والنتيجة التي انتهيا إليها أنه من الخطأ إيراد وتحقيق الحِجاج بالكلمات اللغوية والأسباب الكامنة وراء ذلك، وأن الحِجاج الذي سعى النقاد والفلاسفة إلى إثباته في اللغة والخطاب ينتهي إلى نتيجة واحدة وهي اللاحِجاج، وأن هذا الحِجاج الخطابي محض سراب، فالمفهوم الحِجاجي عندهما لا تربطه صلة لا من قريب ولا من بعيد بذلك الذي يُفهم من عبارة الحِجاج، ويظهر من نقل بعض النقاد عنه أنه صرح بقوله: "لقد درج بعض النظار على القول إن الخطاب هو الذي يسري في الحياة اليومية، فالكلام والخطاب لا يمكن أن ينشئ براهين"[(4)].

فالواقع -من وجهة نظر ديكرو وأنسكومبر- يفرض نفسه ويحوِّل نظرية الحِجاج إلى سراب، والناظر في ذلك يعتقد لأول وهلة أن ديكرو وأنسكومبر يريان بأنه لا حِجاج في اللغة، وهذا غير صحيح، وإنما كان يرفِض النظريات الافتراضية التي وضعها أرسطو للحِجاج، ويرسي دعائم أنّ اللغة حِجاجية بنفسها، فهو يرى أن اللغة حِجاجية بمقامها الأول، فاللغة عنده إخبارية حِجاجية أو حِجاجية إخبارية، فكل اللغويين أمثال ديكرو وأنسكومبر يرفضون إدراج الحِجاج ضمن ميكانزمات اللغة، فلا مجال

---

[1]- DUCROT,OSWALD. ANXOMBER, JEAN CLAUD, Largumentation dans la langue, piere Mardaga. Editeur2, Calerie. des princes. 1000 Bruxelles. (1983). P.(10).

[2] ينظر: اللغة والحِجاج، أبو بكر العزاوي، المغرب، الدار البيضاء، 2006، ص: 42.

[3] مفهوم الموضع وتطبيقاته في الحِجاجيات اللسانية لأنسكومبر وديكرو، رشيد الراضي، مجلة عالم الفكر، العدد 40، الكويت، 2005، ص: 223

[4] المظاهر اللغوية للحِجاج مدخل إلى الحِجاجيات اللسانية، رشيد الراضي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2014، ص:230.

ISSN : 2410-1818

لاستدعاء النظريات الدلالية والنحوية، وتابعه على ذلك روبير مارتان الذي يقلِّل من دور المؤشرات اللغوية الحِجاجية ويدلِّل على أنها ليست إلا رموزاً[1].

وعلى الرغم من ذلك فإن ديكرو وأنسكومبر يريان بأن ذلك المسار الذي تترابط فيه الكلمات وتربط بينها الأدوات هو مسار يؤدي بالطبع إلى الحِجاج، والذي رفضاه هي تلك النظرية الحِجاجية التي أقرها أرسطو التي جعلت من الحِجاج نوعًا من الجدل المنطقي[2].

إذن هما يقرّران أن الحِجاج غير الجدل، فالحِجاج عندهما ليس مقدمة ونتيجة، بل عمل لغوي بين الجمل لا بين قضيتين، وليس ناتجاً عن منطق غير صوري، فالبحث في الحِجاج، من وجهة نظرهما يؤدّي إلى الترابطات الخطابية وتفسيرِ توجيه الأقوال للمستمع في بعض النتائج[3].

وثمة مظاهر حدّداها للحِجاج، منها "الربط" الذي يتعلّق بحالة الربط ضمن النسخ التقليدية للحِجاج داخل عوامل اللغة المختلفة ويطلق عليه الربط الامتدادي، وهو يشبه الربط المتعارف عليه في اللغة بالأداة "إذن"، والربط العنادي الذي يصطلح عليه ديكرو وأنسكومبر أن يكون بالأداة "رغم"[4].

أما المظهر الثاني الذي يُظهر حالة الحِجاج فهو المسلسلات الخطابية، وهو الصورة المطوَّلة للخطاب اللساني للعبارات الموصوفة التي تؤدي بدورها صيغة مختصرة لهذه السلسلة الخطابية[5]، غير أننا لا بدّ أن نقف على تعريف الحِجاج وحقيقته.

1 ينظر: اللغة والحِجاج، أبو بكر العزاوي، المغرب، الدار البيضاء، 2006، ص: 36.

2 ينظر: التداولية والحِجاج مداخل ونصوص، صابر الحباشة، صفحات للدراسة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2008م، ص: 21.

3 نظرية الحِجاج في اللغة، ضمن أهم نظريات الحِجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، شكري المبخوت، إشراف حمّادي صمّود، كلية الآداب، منوبة، د.ت، ص: 362.

4 المظاهر اللغوية للحِجاج مدخل إلى الحِجاجيات اللسانية، رشيد الراضي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2014، ص: 238.

5 المرجع السابق، ص: 244.

ISSN : 2410-1818

أولًا: الحِجاج لغة:

مصدر حاجّ يَحُجُّ، وحاججته أُحاجُّه حِجاجًا ومحاجّة حتى حججته، وهي الغلبة، يقال حاججته أي: غلبته والحِجاج البرهنة ومنازعة الدليل[1]، ومنه قول الله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ**﴾ (البقرة: 258)، وهي بمعنى خاصم إبراهيم ونازعه الحجة، ومنها قوله تعالى: ﴿**فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ**﴾ أي: الدليل والبرهان[2]، وجاء في المعجم الوسيط بأنه: "الدليل على الرأي المرغوب إثباته"[3].

الحِجاج اصطلاحًا:

ورد الحِجاج بعدّة تعريفات، منها:

ما ذكره طه عبد الرحمان بأنه "كل منطوقٍ به يتوقف وصف بالخطاب على أن يقترن بقصد مزدوج يتمثل في تحصيل الناطق لقصد الادعاء وتحصيل المنطوق به"[4].

فهو موجَّه إلى الغير لإفهامه دعوىً مخصوصة يحقّ له الاعتراض عليها، ويُبنى على ذلك أنّ الحِجاج المنطوق جاء لإفهام دعوى، ويتضح منه أنّ الحِجاج ذو فعالية تداولية جدلية عقلية وغير عقلية، فهو تداولي لأنّ طابعه فكري ومقامي واجتماعي، يتناسب مع كل مقام وكل عقل وفكر، فهو يراعي مقتضى وطرق الإخبار لأن هدفه في المقام الأول هو والبرهنة[5].

ومن التعريفات أيضًا: أنه "عملية استدلال عقلي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يَعْرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم، وتعتبر أن موضوعه درس تقنيات الخطاب التي تمكن المتكلم من تغيير نظام المعتقدات والتصورات لدى مخاطبه بواسطة الوسائل اللغوية"[6].

فيدور الحِجاج من وجهة التعريف السابق حول الإقناع والإمتاع، الإقناع في التقنيات الحِجاجية بكل أشكالها، في سلم حِجاجي يقوم على مغالبة الخصوم أو الزيادة من استلامهم، وهذا التعريف أقرب

---

[1] ينظر: لسان العرب: ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1414هـ، 226/2 (حجج).

[2] ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، محمد بن جرير، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420هـ، 2000م: 429/5.

[3] المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون: ص 106.

[4] اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1998، ص: 226.

[5] ينظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، البيضاء، المغرب، ط: 2، 2000م، ص: 65.

[6] نظرية الحِجاج في اللغة، ضمن أهم نظريات الحِجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، شكري المبخوت، إشراف حمادي صمود، كلية الآداب، منوبة، د.ت، ص: 59.

ISSN : 2410-1818

التعريفات لنظرية ديكرو وأنسكومبر، غير أن التعريف السابق حصر الحِجاج في نوع الحِجاج العقلي بينما يرى ديكرو وأنسكومبر أن الحِجاج لغوي[1].

ومن التعريفات أيضًا ما ذكرَتْه بعض الباحثات عن برلمان بأنه: "حمل المتلقي على الاقتناع بما نعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الاقناع"[2].

ويشير التعريف السابق إلى أن الحِجاج يحصل عبر الخطاب، وهو قريب من نظرية ديكرو وأنسكومبر التي تميل إلى القول بأن الحِجاج لغوي لا عقلي، وعملية خطابية تحصل عبر الترابط بين الجمل.

كما وردت تعريفات أخرى للحِجاج تجمع بين الحِجاج في الشكل والغاية، منها ما ذكره عبد الهادي الشهري بأنه "إذعان العقول بالتّصديق لما يطرحه المرسل أو العمل على زيادة الإذعان، وهو الغاية من كل حِجاج"[3]، فالحِجاج خطوات يحاول فيها المتحدث أن يقود المستمع إلى تبني موقف معين و"ذلك بالاعتماد على تمثيلات ذهنية مجردة أو حسية ملموسة أو قضايا جازمة تهدف إلى البرهنة على صلاحية رأى أو مشروعيته"[4].

[1] ينظر: الحِجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، أمينة الدهري، مكتبة المدارس، الدار البيضاء، ط:1، 2011م، ص: 10.

[2] ينظر: الحِجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، 2007، ص21.

[3] استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي الشهري ، لبنان، دار الكتاب الجديد، 2004، ص 456.

[4] ينظر: الحِجاج مفهومه ومجالاته، دراسات ونظرية تطبيقية في البلاغة الجديدة، حافظ إسماعيل، عمان، عالم الكتب الحديث، 2010، ص246.

ISSN : 2410-1818

المبحث الأول: المستويات اللغوية الحجاجية في سياقات خطب عرفة

كما أنّ اللغة هي المحور الأول في النص فإنّ البلاغيين يعتبرون المخاطب الركيزة الأساسية في التعريف والتنكير، وإن كان هذا لا ينفي وجود المتكلم في الصياغة باعتباره مصدرها"[1] لذا تنوِّع اللغة بين مستويات الخطاب المختلفة لتتعانق فيما بينها في كمال النص وبنيته الدلالية من جهة، وفي بلاغته وتصويراته وحضوره في ذهن القارئ أو السامع من جهة أخرى، فيسعى الحِجاجي إلى تجويد تلك المستويات ومحاولة التمكّن منها بما يخدم هدفه الخطابي. وعندما نحدّد المستويات اللغوية الخاصة بالنص في المستوى الدلالي والمعجمي والصرفي والنحوي للمفردة والجملة، ونحدّد المستويات اللغوية الخاصة بالمتكلّم في المستوى البلاغي والبياني فإننا نحاول أن نستخلص محددات نظرية ديكرو وأنسكومبر؛ لأنها تنبع من اتصالية اللغة أولاً، وسيكون حديثي عن المستوى الدلالي للجمل، وأيضاً المستوى البلاغي، بحيث يعالج الأول ما يتعلّق بالنص ويعالج الثاني ما يتعلّق بالمتكلّم المخاطب.

أولًا: المستوى الدلالي للجمل

البُنى اللغوية ترتكز على الحجاج من جهة وعلى المكوّن البلاغي من جهة أخرى عند الحاجة، و"لمّا كان الحِجاج مكوّناً من مكونات البنية اللغوية ويرتكز على مفهوم التعليمات والتوجيهات المسجلة في هذه البنية، ولما كانت طريقة الاحتذاء والتقليد تقر باستقلالية الظواهر الدلالية وسمتها الخلافية فإنّ التكهُّن بنيوياً بالترابطات الحجاجية واحتسابها دلالياً يصبحان ممكنين في مستوى تحليل المكون اللغوي ذاته"[2]، وقد جاء ذلك في خطب عرفة كما في خطبة عام 1426هـ لعبد العزيز آل الشيخ حيث: "أيها المسلم: تفكّر في عظيم آيات الله، وفي عظيم مخلوقات الله، لتكون على يقين جازم من كمال صنع الله، ووجوب توحيده في عبادته، وأنه مستحق لها دون ما سواهن، واسمع الله يقول: **(وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ واحِدٌ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ* إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النَّاسَ وَما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَبَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّياحِ وَالسَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)** (البقرة: 163-164)، أفلا تتفكرون فيما حولكم، أفلا تتدبّرون في ملكوت السماوات والأرض، السماء فوقكم من بناها وبغير عمد ترونها من رفعها، كواكب ونجوم، شمس وقمر"[3].

---

[1] ينظر: البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984، ص257.

[2] نظرية الحجاج في اللغة، شكري المبخوت، ص362.

[3] خطبة مكتوبة https://attafreegh.com/read/1354818780-156#document-reader

ISSN : 2410-1818

في النص السابق حالة من المتتاليات الحِجاجية المتماسكة داخل النص، بين المفردات من جهة وبين الجمل من جهة أخرى، فالجمل تقسّمت بين الجمل الاسمية التي تستدعي الديمومة، كقوله: "أيها المسلم" و"وأنه مستحق لها دون سواه"، والجمل الفعلية الدالة على التجدّد والحدوث، كقوله: "تفكّر في عظيم آيات الله"، و"واسمع آيات الله"، أيضاً زاوج الخطيب بين المتضادات داخل النص لتعطي النص قوّة من داخله، فاستعمل الليل والنهار، والشمس والقمر، والسماء والأرض، كذلك استعمل أفعال المضارع والأمر وأدوات الاستفهام والتوكيد، ثم نجده ربط بين الجمل وبين السبب والمسبب بأدوات التعليل كالربط باللام في "لتكون على يقين"، فالنصّ جمع بين الحِجاج اللغوي والحِجاج العقلي، وهو ما أعطى النصّ قوة حسب نظرية ديكرو وأنسكومبر اللذين يريانّ المتتاليات الخطابية المترابطة بالربط الامتدادي عبر أدوات التعليل وحروف العطف أبرز مكونات الحِجاج.

يتابع الخطيب قائلًا: "مَن خلق المخلوقات على اختلاف أنواعها؟ من كور الليل على النهار؟ ألا هو العزيز الجبار (**ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**) الأنعام: 102. هو الله الذي لا إله إلا هو المبدئ المعيد، الرزاق ذو القوة المتين، (**قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ * فَذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَماذا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ**) (يونس: 31-32.)"

بما أنّ الجمل ليست مجرد أداة نقل، بل تحمل قوة حجاجية للتأثير في المتلقي، وتقدّم الحجج، والتوجيه نحو استنتاج محدد من خلال السياقات اللغوية المختلفة فقد استعمل الخطيب الربط العنادي (الرَّغمي) والربط الامتدادي لخلق متتاليات حِجاجية في النص، ولجأ الخطيب إلى التنويع الأسلوبي بين النداء والتوكيد وبين الخبر والإنشاء للوصول إلى حالة الحِجاج اللغوي الظاهر، فجاءت حالة التوكيد عبر الروابط "إنّ" و"لقد" وفعْل الأمر وغيرها من الأدوات، وكذلك حالة الامتداد بالرابط السببي وحالة الترابط الرغمي في قوله "وكيف لا نتّقي الله ولا نُفرده بالعبادة وهو النافع الضار".

ثم تابع قائلًا: "فكانت شهادة التوحيد لله مع شهادة الرسالة لمحمد صلى الله عليه وسلم هي سبب تحصيل رضا الله وسبب النجاة يوم المعاد، ومن مدلول شهادة الرسالة تصديق محمد صلى الله عليه وسلم في أخباره وطاعته في أوامره وعبادة الله بما جاء به كما قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝٤٦ ﴾ ، وكانت الشهادتان أول أركان الإسلام كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً**)".

وقد لجأ الخطيب هنا إلى ذكر لفظ السبب نوعاً من الربط الامتدادي، فظاهر الأمر أن التعليل والسببية نوع من الحِجاج، وهو تتمة لما ظهر في أول الخطبة من أسباب الرحمة، وتحصيل الرضا،

ISSN : 2410-1818

وكالعادة لجأ إلى أدوات التوكيد نوعاً من الحِجاج اللغوي، ثم أدوات الربط، والأفعال التي اختزلت الحِجاج اللفظي.

وقال محمد آل الشيخ في خطبته عام 1440هـ: "وانظروا أيها العقلاء إلى آثار رحمة الله في الكون قال تعالى: (**وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ**)، وقال: (**فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) وقال سبحانه: (**وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**)، وقال جلّ وعلا: (**قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**)، وفي الحديث الصحيح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عندهُ فوق العرش إن رحمتي سبقت غضبي**)، وتابع يقول: "من رحمته سبحانه أن أكمل دين الإسلام كما قال عز وعلا في الآية التي نزلت في عرفة في هذا الموطن الشريف: (**اليوم أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**) هذا الدين العظيم الذي بُني على خمسة أركان، الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت الحرام وهذه الأركان من أسباب نزول الرحمات، فالشهادتان شهادة أن لا إله إلا الله ومعناها ألا يعبد أحد بحق إلا الله، فنوحّده بالعبادة، وشهادة أن محمدًا رسول الله فيطاع أمره ويصدق خبره ولا يُعبد الله إلا بما جاء به"[1].

زاوج الخطيب في تلك الخطبة إلى حالة من التنوع الأسلوبي بين الإنشاء والخبر، فتابعَ بين المؤثرات الحِجاجية وتضافرت كلها مجتمعة في بعض النصوص الاستشهادية ليجمع بين الاستشهاد بالنصّ المقدّس وبين الحِجاج والبرهان، وقد حشد كثيراً من أدوات التوكيد، مثل: "إنّ" و"قد" وأفعال الأمر المتكررة، إضافة إلى إحضار الترابط السببي وحالة الترابط الرغمي المتكررة في عدة نصوص من الخطبة.

ثم تابع الخطيب قائلًا: "وهكذا تستمر رحمة المؤمنين بعضهم بعضًا إلى قيام الساعة، قال تعالى (ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ، وأهل العلم يرحمون من يستفتيهم اتباعًا لقوله تعالى: (**وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**)، بل جميع المؤمنين يرحم بعضهم بعضًا كما في الحديث (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر)"، وأضاف: "وتشمل الرحمة جميع الخلق كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (**ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**)، وقال: (**الراحمون يرحمهم الرحمن**)، ومن فضله سبحانه أن جعل من أسس العلاقات الاجتماعية الرحمة؛ رحمة الآباء والأبناء ورحمة بين الأزواج ورحمة بين القرابة، فقال عن الوالدين: (**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ**

[1] خطبة مرئية https://youtu.be/i1g8pXoEWAg?si=5GC5KvLVFuCaYZ2J

ISSN : 2410-1818

وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا)، وقال عن الأزواج والزوجات (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)".

عمد الخطيب في النص السابق إلى توحيد الأسلوب الخبري المدعّم بآليات الحِجاج، وقد تعدّدت النواحي الخبرية المؤكدة وصولًا إلى حالة الحِجاج اللغوي الظاهر، كما تعدّدت نواحي التوكيد المختلفة المتمثّلة في "إنّ" المؤكِّدة و"لقد" وأفعال الأمر المختلفة مؤدّيةً إلى الحِجاج بنفسها، وكذلك حالة الترابط بالامتداد عبر الرابط السببي بالضمائر وغيرها من وسائل الربط اللغوي المختلفة.

ثانيًا: المستوى البلاغي:

يقوم الحِجاج البلاغي على الاستعارة والمبالغة كما أنه لا يقتصر ترتيب الحجج في سلم واحد بل يهتم بربطها ربطًا حِجاجيًّا واستثمار بعض الأدوات ذات المعاني واستعمال الصيغ الصرفية وتوجيهها الحِجاج[1]، فالعلاقات الحجاجية تقتصر على اللغة ذاتها، أي أننا لا نحتاج إلى معرفة الخصائص البلاغية وأبعادها إلا في حالة واحدة، وهي إثراء الوصف الدلالي، فالحجاج عند ديكرو وأنسكومبر هو خاصية لغوية دلالية غير مرتبطة بالاستعمال في المقام، والحجاج يتصل بالعلاقات بين الأقوال في الخطاب وهو يسعى إلى إبراز مبادئ وكيفية اشتغال هذه البنية اللغوية التي تحتوي هذه العلاقات[2]. إذن الحِجاج البلاغي يختلف عن الحِجاج العقلي والجدلي في كونه ذا أبعاد خطاب لسانيّ متاح باللغة المكتوبة والمنطوقة[3].

جاء في خطبة عرفة لمحمد آل الشيخ لعام 1440هـ: "أيها المسلمون اتقوا الله تعالى فإن في تقواه الفلاح في الآخرة، والنجاح في الدنيا قال تعالى: (وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ)، وقال سبحانه: **(أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُون * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)**، وإن من تقوى الله أن نلتزم بالتوحيد الذي هو أعظم ما أمر الله به والتوحيد هو عبادة الله وحده، وقد خُلق الإنس والجن من أجله قال تعالى: **(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)**، وكيف لا نُفرد الله بالعبادات وهو الذي برحمته أنزل الخيرات، وتفرد بإيجاد المخلوقات، وسيقف العباد بين يديه ليحاسبهم على ما فعلوه في العلن والخفيات قال تعالى: **(مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ**

---

[1] ينظر: الحِجاج مفهومه ومجالاته، حافظ إسماعيل، ص115.

[2] البنية الحجاجية في النثر العباسي، نفيسة طيب، رسالة ماجستير بقسم اللغة والأدب العربي، معهد الآداب، المركز الجامعي العقيد أكلي محند أولحاج، البويرة، 2011، ص46.

[3] ينظر: المحاج والاستدلال الحِجاجي، مفهومه ومجالاته، دراسة نظرية وتطبيقية محكمة في الخطابة الجديدة، حافظ إسماعيل، لبنان، 2013، ص 159.

ISSN : 2410-1818

فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)، وقال سبحانه: **(وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ)** وقال جل في علاه : **(فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ)**"[1].

حصل الحِجاج عبر إطالة المتتاليات الوصفية التي تظهِر حالة الحِجاج، إذ استُهلت الخطبة بفعل الأمر "اتقوا"، ثم رتّب عليه الجمل في حالة من الترابط الامتدادي بحرف الواو لربط الجمل ببعضها، ثم الترابط الرغمي الذي ظهر في قوله: "وكيف لا نُفرد الله بالعبادات وهو الذي برحمته أنزل الخيرات" أي برغم أنه أنزل الخيرات، فحصل تنوّع ترابطي بين الجمل، ثم عبر المفردات المختزلة الوصفية.

ثم تابع الخطيب قائلًا: "هناك أسباب تستجلب بها رحمة الله فمن أسباب الرحمة التقوى كما قال تعالى: **(اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)**، ومن أسباب الرحمة السماحة في التعامل قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(رحم الله رجلًا سمحًا إذا باع، وإذا اشترى وإذا اقتضى)**، ومن أسباب رحمة الله قراءة القرآن وتدارسه والاستماع إليه كما في الحديث، **(ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلّا حفّتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده)**، وقال تعالى: **(وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)** وقال: **(وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)**، وقال تعالى: **(أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ)**.

نلاحظ ظهور الحِجاج في النص من خلال حالة السببيّة والترابط بالامتداد وبالترابط الرغمي، حيث عدّد حالةً من الأسباب التي تستجلب الرحمة، فجعل كل جملة سببًا لما قبلها، وخلق حالة من الترابط بين الجمل بالسببية وبأدوات الربط الامتدادي والرغمي، ثم لجأ إلى الاستشهاد بالنصّ زيادة في الاستدلال والبرهنة، غير أن ديكرو وأنسكومبر لا يريان البرهنة نوعًا من الحِجاج بل هي نوع منفصل عندهما، حيث البرهان يهدف إلى تقديم حقائق ونتائج منطقية غير قابلة للنقض؛ في حين أنّ الحِجاج يهدف للتأثير على آراء المخاطب وسلوكياته باستخدام اللغة[2].

ولعل أسلوب التوكيد بالأدوات كإنّ وأنّ، وقد ولقد وغيرها، وكذلك الأدوات التي تدل على السببية والتعليل كاللام وكي وغيرها[3] أهمُّ أدوات الحِجاج التي استعان بها الخطيب، كقوله: " ومن أسباب رحمة الله قراءة القرآن وتدارسه والاستماع إليه كما في الحديث".

ومن ذلك ما ورد في خطبة يوم عرفة في عام 1440هـ قال محمد بن حسن آل الشيخ: "أما بعد، فيا حُجّاج بيت الله، ويا أيها المسلمون في كل مكان، اتقوا الله تعالى تنالوا الفوز والنجاة والسعادة في الدنيا والآخرة قال تعالى: **(وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)**، وقال تعالى: **(وَاتَّقُوا**

[1] خطبة مرئية https://youtu.be/i1g8pXoEWAg?si=5GC5KvLVFuCaYZ2J

[2] Largumentation dans la langue, (p25).

[3] استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي الشهري، ص: 475.

ISSN : 2410-1818

اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)، وقال: (وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم)، وكيف لا نتّقي الله ولا نفرده بالعبادة وهو النافع الضار، قال تعالى: (وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)... وإن من تقوى الله أن نكون مستجيبين لما دعا الله إليه من التوحيد بإفراده بالعبادة وعدم صرف شيء من العبادات لغيره كائنًا من كان ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ ﴾ "[1].

ثم تابع قائلًا: "بفضل رحمة الله تزكو النفوس وتتطهر قال تعالى: (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)، وقال: (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي)، ويدخل الله المؤمنين الجنة برحمته كما في الحديث الصحيح، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(لن يدخل أحد الجنة بعمله) قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: (ولا أنا إلّا أن يتغمّدني الله بفضل منه ورحمته، فسدِّدوا وقاربوا)**، وبرحمة الله يندفع عن الخلق أنواع من المصائب والشرور كما قال تعالى: (وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ)، وقال: (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)، سائلًا الله أن يكفينا شرَّ عدونا الشيطان الرجيم برحمته قال تعالى: (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا)".

وقد حصل الحِجاج البلاغي هنا عبر الوصف الخبري البلاغي المتعدّد الذي ظهر من خلال حالة الحِجاج البلاغي الظاهر عبر الوصف والأسلوب الخبري والإنشائي والمجاز، كقوله: "بفضل رحمة الله تزكو النفوس وتتطهر"، وقوله: "سائلًا الله أن يكفينا شرَّ عدونا الشيطان الرجيم برحمته"، حيث استهل الخطيب حديثه بالخبر وعلّق عليه الحصول على ما بعده، ولا شك أن ترتيب الجمل بعدها على بعض أحد أركان أسلوب الحِجاج، ثم رتّب عليها الجمل في حالة من الترابط الامتدادي عبر حرف الواو والفاء في ترابط الجمل ببعضها، كقوله: "وبرحمة الله يندفع عن الخلق أنواعٌ من المصائب والشرور".

[1] خطبة مرئية https://youtu.be/i1g8pXoEWAg?si=5GC5KvLVFuCaYZ2J

ISSN : 2410-1818

المبحث الثاني: سياقات خطب عرفة من خلال المستويات المنطقية للحِجاج

السياق في اللغة:

ورد السياق في معاجم اللغة بمعنى التّساوق والتتابع والتقاود والاطّراد[1]، وسَوْق الإبل: جلبها وطردها، وسُقْته فانساق[2]. وقد وردت المادة كما في قوله تعالى ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ (مريم: 86)، وقوله تعالى ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (الزمر: 73).

السياق في الاصطلاح:

للسياق تعريفات متعدّدة بحسب عناصرها، منها: أنه غرض ومقصود ومراد المتكلم، أو أنه النظم الذي يجمع الكلام وفق القواعد المعتبرة كقواعد النحو والدلالة والبلاغة غيرها، أو أنه الظروف التي تحيط بالنص، وأحوال المخاطبين فيه، وهو السياق الخارجي للنص.

و"يتلخص الحديث عن مفهوم السياق في التراث العربي في النقاط الثلاث التالية:

1- السياق الغرض، أي مقصود المتكلم من إيراد الكلام.

2- السياق الظروف أو المواقف أو الأحداث التي ورد فيها النص، ويُسمّى (الموقفية).

3- السياق وينصرف الذهن إلى السياق اللغوي الذي يمثّله الكلام في مكان النظر والتحليل، ويشمل ما يسبقه أو يتبعه من الكلام"[3].

ويرى استيفن أولمان أنه النّظم اللّفظيّ للكلام، وموقع الكلمة في ذلك النّظم، يقول: "إنّ السّياق، على هذا التّفسير، ينبغي أن لا يشمل، الكلمات والجمل السّابقة واللاّحقة حسب، بل القطعة كلّها، والكتاب كلّه[4].

أما السّياق غير اللغويّ فالمقصود به تلك الظّروف الخارجيّة التي تحيط بالحدث اللغويّ، وهو ما يسميه البلاغيّون العرب (المقام)[5].

وكلام ديكرو وأنسكومبر عن السياق ظهر من خلال دلالة الجملة من حيث كونها مجموعة من الترابط والتناسق بين الألفاظ تصنع دلالة مجتمعة، وتلك الإرشادات الحِجاجية التي أشار إليها

---

[1] تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م، 234/9.

[2] مفردات ألفاظ القرآن الراغب، الأصفهاني، المحقق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، 1430- 2009، ص436.

[3] دلالة السياق، عبد العزيز بن ردة الطلحي، جامعة أم القرى، السعودية، ط1، 1423، ص50.

[4] دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، 1972م، ص57.

[5] علم اللغة بين التراث والمعاصرة، عاطف مدكور، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1987م، ص243.

ISSN : 2410-1818

تتضمنها تلك الجملة أو السياق بشكل عام، وقد ظهرت حالة من إدماج الوقائع التداولية من حيث كونها لغوية أو غير لغوية ضمن التحليل الحِجاجي الدلالي[1].

ومن أمثلة ذلك ما ورد في خطبة عام 1442هـ لبندر بليلة عندما قال: "أمر الشرع المسلم بالإحسان، ومن الإحسان السعي إلى سلامة العباد واستقرار البلاد، وطاعة ولاة الأمور في غير معصية، وترك ما يؤدي إلى الفتن والمنع من تغذية الإرهاب، والنهي عن الإفساد في الأرض"[2].

ظهرت المتتاليات والإرشادات الحِجاجية هنا نوعًا من التآلف في السياق، فدلالة السياق الأصلية هي الإحسان، وجعل الخطيب السلامة والأمن والأمان نوعًا من الإحسان، فكان سياق الإحسان هو المسبِّب للتداولية الحِجاجية، وتعديد مظاهر الإحسان في الجمل التي تلت الجملة الأولى كل ذلك من مظاهر الحِجاج السياقي.

ولنطالع على قوله أيضًا: "يصِل إحسان المسلم إلى المسلمين وغير المسلمين، بل يصل لمن بينك وبينه عداوة، ويشمل الإحسان التعامل المالي، والإحسانَ في الأقوال وحسن الاستقبال والتحية، والصبر على إيذاء الناس".

تتابَع سياق الإحسان في النص السابق تبعًا للنص الأول، وهو حالة من المتتاليات الحِجاجية الدلالية، وديكرو وأنسكومبر يريان أن الحِجاج اللغوي السياقي لا يحصل بالتتابع الدلالي وحده، بل يلزم الاندماج بين مكونات السياق الواحد[3].

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما ورد في خطبة حسين آل الشيخ عام 1439هـ حيث قال: "إن يومكم هذا، أيها المسلمون، من مواسم التوبة ومواطن المغفرة، فلقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه أن النبي صلى لله عليه وسلم قال: "ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبيدًا من النار من يوم عرفة" كيف لا وهذا يوم عظيم أنزل الله فيه قوله "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا" فعندها كمُلت الأخلاق وتمّت الشريعة المشتملة على الفضائل العالية والمحاسن الشريفة"[4].

فالسياق في أول الخطبة هو فضل يوم عرفة، وكيف أنه يمحو الذنوب وأنّه يوم توبة، ثم يربط الخطيب هذا السياق بين فضل يوم عرفة وكمال الأخلاق وتمام الشرعية، ثم يتابع: "إنّ مما أمر به الشرع مما له صلة بالأخلاق طاعة ولاة الأمور لما له من أثر عظيم في حفظ النظام العام، حيث قال الله

---

[1] ينظر: الملخص التنفيذي لكتاب المظاهر اللغوية للحِجاج مدخل إلى الحِجاجيات اللسانية، رشيد الراضي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، ص3.

[2] خطبة مرئية https://youtu.be/AK9zjy9DzJw?si=XhsSznz8gobKhZZ1

[3] Largumentation dans la langue, (p31).

[4] خطبة مرئية https://youtu.be/jOnFJJNbtJU?si=gnM0V5bfQatZ3TJk

ISSN : 2410-1818

تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ"، فتلتزم الأمة بطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وتجتمع تحت راية قادتها وولاتها بعيدة عن المنازعة والمنابزة، مؤديةً الواجبات ومنتهية عن المخالفات".

فربط في السياق السابق بين طاعة ولاة الأمور وبين مكارم الأخلاق وتمام الشريعة وبين فضل يوم عرفة في سياق واحد، فتعدّدت المعاني التي حملها السياق، فجعل حالة الربط بين تلك الدلالات المختلفة نوعًا من الحِجاج على تمام الشريعة.

المبحث الثالث: السُّلم الحِجاجي لخطب عرفة

لقد قامت نظرية ديكرو وأنسكومبر على إجابة عن تساؤل: هل اللغة إخبارية أم حِجاجية[1]، وتطلّب ذلك سلَّماً لترتيب الحجج بشكل تدريجي من الأضعف والأسهل إلى الأقوى والأشد تعقيداً، أو العكس؛ بهدف التأثير على المتلقي بشكل فعّال ومنظّم؛ للربط بين الجمل، وبين المقدمة والنتيجة المنطقية، بل المقدمة اللغوية والنتيجة التي تُحمل عليها من خلال أداوت الحِجاج المختلفة[2].

ومن أمثلة ذلك ما ورد في خطبة حسين آل الشيخ عام 1439هـ حيث قال: "جميع الأنبياء والرسل جاؤوا بالتوحيد، وفي مقدمتهم أولو العزم من الرسل نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وخاتم الأنبياء محمد -صلوات الله عليهم أجمعين- فكل الأنبياء يقولون لأقوامهم **(يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ)**"[3].

فبدأ الخطيب هنا بمقدمةٍ أنّ جميع الأنبياء جاؤوا بالتوحيد، فدعوة الله للناس هي التوحيد، إذن لا بُدّ أن يلتزم الناس بالتوحيد فهو مراد الله من كل الأنبياء، والمطلوب منك أيها المسلم المعاصر أن تعبد الله وحده دون ما سواه، فبدأ بمقدمة هي جميع الأنبياء، ثم نتيجة هي أن المطلوب منك أيه المسلم اليوم ما قالوه جميعًا وهو عبادة الله.

وقال في الخطبة نفسها: "إن الله أرسل محمدًا صلى الله عليه وسلم للناس جميعًا ليخرجهم من الظلمات إلى النور ومن الضلالة إلى الهدى، قال تعالى "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ"، وقال جل وعلا: **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا، وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا)**".

فينشئ الخطيب حالة من المتتاليات الحِجاجية للربط بين السياق الأصلي الذي هو التوحيد وأنه دعوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم للناس جميعًا، وذلك لكون التوحيد واجبًا على كل إنسان،

[1] Largumentation dans la langue, (7).

[2] Largumentation dans la langue, (p77).

[3] السابق.

ISSN : 2410-1818

وهو ما انتهى إليه السياق من حِجاج ظاهر، ونلاحظ هنا أنّ الخطيب قد استعمل سلّماً حجاجياً -هو قانون الخفض عند ديكرو- حيث إن مهمة الرسل هي إخراج الناس من الظلمات إلى النور، فلا ينبغي لهم أن يحفّزوهم على البقاء في ظلمات دون ظلمات، ولا الدخول في دين يشاؤونه، ولكن عليهم الدخول في دين الإسلام لا غير[1].

وقال سعد الشثري في خطبة عرفة 1438هـ: "من أمور الجاهلية أن يُجعل موسم الحج موطنًا للمزايدات أو مكان للشعارات أو المظاهرات أو الدعوة للأحزاب والتجمعات، .... يجب أن يُجعل الحج لله وحده فلا مكان للشعارات الحزبية والدعوات المذهبية والحركات الطائفية"[2].

فالسياق الأصلي للنص تعظيم موسم الحج، وذلك بأن يخلصه للعبادة وحدها، ثم الدلالة الأخرى الخارجية نبذ الأحزاب والشعارات التي تصرف المسلم عن شعيرة الحج إلى غيرها، ثم يتابع قائلًا: "المسلم يمقت الاعتداء على الآمنين من المسلمين وغيرهم في كافة البلدان... والدين الإسلامي زرع المحبة في القلوب ومقت الكراهية ودعا إلى التآخي بين المؤمنين ليكونوا صفًا واحدًا".

فجاء النص تكملة لما دار في السياق الأصلي للخطبة وهو تعظيم موسم الحج، فربط الخطيب بالحجج بينه وبين مقت ترويع الآمنين والاعتداء على المسالمين، وكذلك مقْت الكراهية والدعوة إلى التآخي، وإن كان السياق الأصلي مغايرًا لما عليه الأمر في السياق الثاني.

ثم تابع سعد الشثري: "فمِن محاسِنِ هذا الدين: أنه حضَّ على الاجتِماعِ والتآلُف، والتعاوُن على الخَير، قال تعالى: (**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**)، وقال: (**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**) **ومِن محاسِنِ هذا الدين: حثُّهُ المُؤمنين على الأخلاقِ الفاضِلَة، والأقوالِ الطيّبة، قال تعالى: (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَن)** ، وقال لنبيِّه -صلى الله عليه وسلم: (**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**) وقال: (**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ**) وأمَرَ المُؤمنين بالاقتِداءِ به -صلى الله عليه وسلم. وقد جعلَ -صلى الله عليه وسلم- مما يُفرِّقُ المُؤمنَ عن المُنافِقِ: الصِّدقَ في الحديث، والوفاءَ بالعَهد، والأمانة".

لقد أورد الخطيب السياق الأصلي للنص السابق من خلال تعظيم الشريعة الغراء، وتعظيم موسم الحج، والدعوة إلى الإصلاح الشامل والكامل لكل المجتمعات المسلمة، وبيان عظمة الإسلام عبر الاهتمام بك ما من شأنه أن يسمو بنفوس المسلمين، ولا شك أنه ربط بين السابق الأصلي وهو تعظيم موسم الحج وتعظيم الشريعة والأمر بأن يخلص المسلم العبادة لله وحده، فالسياق الأصلي تعظيم موسم

[1] ينظر: السّلميات الحجاجية، ديكرو، ترجمة أبو بكر العزاوي، ط1، 2020، مطبعة وراقة بلال، فاس، المغرب، ص75، 88.

[2] خطبة مكتوبة https://khutabaa.com/ar/article/%D8%AE%D8%B7%D8%A8%D8%A9-%D8%B9%D8%B1%D9%81%D8%A9-1438%D9%87%D9%80

ISSN : 2410-1818

الحج، والسياق الذي ربطه به هو تعظيم حياة المسلم والاهتمام بها، فالشريعة الإسلامية شريعة متكاملة لا بد أن تهتم بكل شؤون الحياة.

فجاء النص اللاحق تكملة لما دار في السياق الأصلي للخطبة نوعًا من الربط السياقي والدلالي للخطبة، فتسلسلتْ عناصر الخطبة يكمل بعضها بعضًا.

وقد بنى الخطيب سلَّماً حِجاجياً عبر المتتاليات اللسانية السياقية التي ربطها ببعضها، فبدأ بالمقدمة ثم الأدلة طلباً لإقناع المتلقي ثم النتيجة المنطقية، وقد استعمل الخطيب قاعدة القلب عند ديكرو عندما قال: "فمِن محاسِن هذا الدين: أنه حضَّ على الاجتِماعِ والتآلُف" حيث إنّ عدم الحض على التآلف والاجتماع ليس من محاسن الإسلام[1]، فجاء النص تكملة لما دار في السياق الأصلي للخطبة عبر عناصر متماسكة بالحِجاج والإحالة النحوية وغيرها من مكملات السياق.

[1] ينظر: السّلميات الحجاجية، ص82.

ISSN : 2410-1818

الخاتمة والنتائج:

في خاتمة هذا البحث أدوّن بعض النتائج التي توصّلتُ إليها، ومنها:

1- الحِجاج من النظريات التداولية التي تدخل في عدة علوم كأصول الفقه والمنطق والبلاغة واللغة وغيرها.

2- تقوم نظرية الحِجاج عند ديكرو وأنسكومبر على أن اللغة حِجاجية في المقام الأول وإخبارية في المقام الثاني، حيث إنّ قصد المتكلم الإخبار.

3- يحصل الحِجاج عبر المتتاليات اللغوية المترابطة التي تخلق الكتل الدلالية التي من شأنها أن تنتج الحِجاج.

4- أظهر البحث أنّ خطب عرفة جاءت محمّلة بالحِجاج والنتائج القائمة على الأسباب والتساؤلات.

5- أظهر البحث استخدام خطباء يوم عرفة للسلّم الحِجاجي، واهتمامهم به لتأدية الوظيفة الإقناعية.

ISSN : 2410-1818

المراجع:

1) استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي بن ظافر الشهري، لبنان، دار الكتاب الجديد، 2004م.
2) البحث اللساني، طه عبد الرحمن، منشورات كلية الآداب بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 6.
3) البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984.
4) البنية الحجاجية في النثر العباسي، نفيسة طيب، رسالة ماجستير بقسم اللغة والأدب العربي، معهد الآداب، المركز الجامعي العقيد أكلي محند أولحاج، البويرة، 2011.
5) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.
6) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ- 2000م.
7) الحِجاج بين المنوال والمثال، نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري، علي الشبعان، مسكلياني للنشر والتوزيع، ط1، تونس، 2008.
8) الحِجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، 2007.
9) الحِجاج في اللغة، شكري المبخوت، ضمن كتاب أهم نظريات الحِجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية1، كلية الآداب منوبة.
10) الحِجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية تطبيقية في البلاغة الجديدة، حافظ إسماعيل، إربد، عالم الكتب الحديث، 2010.
11) دلالة السياق، عبد العزيز بن ردة الطلحي، جامعة أم القرى، السعودية، 1423.
12) دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة: كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، 1972م.
13) السّلميات الحجاجية، ديكرو، ترجمة أبو بكر العزاوي، ط1، 2020، مطبعة وراقة بلال، فاس، المغرب.
14) علم اللغة بين التراث والمعاصرة، عاطف مدكور، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1987م.
15) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمان، المركز الثقافي العربي، البيضاء، المغرب، ط3، 2007م.
16) القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 1426هـ- 2005.

ISSN : 2410-1818

17) لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
18) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1998.
19) اللغة والحِجاج، أبو بكر العزاوي، المغرب، الدار البيضاء، 2006.
20) المحاج والاستدلال الحِجاجي، مفهومه ومجالاته، دراسة نظرية وتطبيقية محكّمة في الخطابة الجديدة، حافظ إسماعيل علوي، لبنان، 2013.
21) المظاهر اللغوية للحِجاج مدخل إلى الحِجاجيات اللسانية، رشيد الراضي المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2014.
22) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر وآخرون، عالم الكتب، ط1، 1429هـ- 2008م.
23) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.
24) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399ه.
25) مفردات ألفاظ القرآن الراغب الأصفهاني، المحقق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم- الدار الشامية، 1430– 2009.
26) مفهوم الموضع وتطبيقاته في الحِجاجيات اللسانية لأنسكومبر وديكرو، رشيد الراضي، مجلة عالم فكر، العدد 40، الكويت، 2005.
27) من المنطق إلى الحِجاج، حوار أجري معه، فكر ونقد، أبو بكر العزاوي، حافظ علوي، [ع.61] السنة السابعة، سبتمبر 2004م.
28) نظرية الحِجاج في اللغة، ضمن أهم نظريات الحِجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، شكري المبخوت، إشراف حمادي صمود، كلية الآداب، منوبة، د.ت.
29) DUCROT,OSWALD. ANXOMBER, JEAN CLAUD, Largumentation dans la langue, piere Mardaga. Editeur2, Calerie. des princes. 1000 Bruxelles. (1983).